مقـــــــدمـــــــة:

لقد كان لظهور كتاب " محاضرات في الألسنية العامة" لأبي اللسانيات الحديثة "فرديناد دي سوسير" صدى كبيرا في الساحة النقدية والأدبية ، الغربية والعربية، فمنذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين وفي الفترة الممتدة من 1916م إلى 1957م سعت اتجاهات ومدارس لغوية أوروبية إلى تبنّي الفكر السوسيري، وقد بدا هذا جليا وواضحا في تطبيقاتها وذلك حينما تبنّت جملة من المفاهيم والتصورات، وكانت سببا في صياغة المشروع البنيوي، وعلى رأس هذه التيارات المدرسة الشكلانية، والجلوسيماتيكية ومدرستي "براغ" ولندن وأعلام النظرية التوليدية التحويلية، وما يجمع بين هذه الاتجاهات والمدارس في إجراءاتها وتطبيقاتها هو انطلاقها من النص دون غيره، عدا النظرية التوليدية التحويلية فقد استقت بعض معارفها من الفلسفة، ومن بين هذه الاتجاهات ظهرت نظرية شقت طريقها النقدي بوضوح استنادا إلى أسس بنيوية وهي النظرية السيميائية، فكانت منهجا ونقدا يستحق أن يتبع ويتبنى في تحليل النصوص.[1]

وفي "أمريكا" ظهر تيار آخر أكثر غزارة وعمقا في دراسة العلامات، ومثّله العالم والفيلسوف الأمريكي "شارل ساندرس بيرس"، حيث يرى أنّ السيميوطيقا نشاط معرفي شامل تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية، وإنّ خلفياته المعرفية والفلسفية جعلت من دراسته للعلامة تختلف عمّا قدمه "دي سوسير" في تقسيمه للعلامة، فهي عنده تشتغل باعتبارها بناء ثلاثيا يشتمل على أوّل (الماثول)، يحيل على ثان (الموضوع) عبر ثالث (المؤوّل).

لقد فرضت النّظرية السيميائية وجودها في مجالات كثيرة أدبية وفنية وثقافية، باعتبار أنّ النصوص مهما كان نوعها فإنّ أصحابها ينتمون إلى مجتمعات لها خصوصيتها الاجتماعية

([1]) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010،ص54.

والثقافية والاقتصادية والأيديولوجية، ولما كان النّص الأدبي بكل بساطة عبارة عن علامة فإنّ السيميائية تأتي لتتكفل بدراسة أنظمة علاماته، فتحاول أن تتعرف على كنهها وعلتها وكينونتها وعلاقتها بغيرها من العلامات، فهي إذاك تهتم بالنص في حدّ ذاته بغضّ النظر عن كل المؤثرات الخارجية.[1]

والطريقة التي يعمدها المنهج السيميائي في تحليل النصوص تستند إلى عمليتي التفكيك والتركيب، وهي طرقة تحليلية تنطلق من كون النص عبارة عن شبكة مشفرة يقوم الناقد بفكها آخذا بعين الاعتبار الأسس والمبادئ كشروط للتحليل وهي :التحليل المحايث والتحليل البنيوي وتحليل الخطاب وهذا الأخير تتجاوز فيه السيميائيات دراسة الجملة .

والملاحظ في الدراسات السيميائية يجد أن هذه النظرية ابتكرت مناهج متنوعة لتحليل كل نوع أدبي على حدة،فوجدت سيميائيات الشعر، سيميائيات القصة أو الرواية وأخرى للمسرحية كما أقحمت مجالات أخرى كالصورة والإشهار لقسمي اللفظ وغير اللفظ والصورة المتحركة (السينما، الفيلم) أو السمعي البصري. والقاسم المشترك بين هذه الإتجاهات السيميائية هو دراسة العلامة اللغوية وغير اللغوية.

([1]) ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات،ص:60

المحاضـــرة الأولـــــى:

السيمـــيائية المصطلح والمفـــهوم (1)

(عند المحدثين)

عرّف أبو اللسانيات الحديثة "فرديناند دي سوسير"(1913) اللغة بأنها منظومة من العلامات التي تعبّر عن فكر ما، وأنها تشبهها في نظامها منظومات أخرى مثل أبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية وضروب المجاملة والإشارات العسكرية وغيرها، إلّا أنه يرى أن المنظومة اللغوية أهم هذه المنظومات على الإطلاق.[1]

وعرّف العلامة اللغوية على أنها دال ومدلول، منطوق ومفهوم، ثم دعا إلى علم يدرس نظام هذه المعلومات، ويضبط القوانين التي تنظمها سمّاه **السيميائية** (Sémiologie) أي علم العلامات،[2] غير أنّه لم يحدد هذه القوانين، ولم يتنبأ بمستقبل هذا العلم بعده فقال:" ولكون خلقها لم يتم بعد فإنّه يعز علينا أن نعرف ما ستؤول إليه".[3]

وحينما كان الدرس السيميائي في بداياته في أوروبا ، ظهر تيار آخر أكثر غزارة وعمقا، وهو تيار مثّله "بيرس"(1839م_1924م)، ويختلف في رؤيته الشمولية للعلامة عن "دي سوسير" في أنّه وسع مجالها الإجرائي لتشمل ظواهر مختلفة من الحياة الإنسانية، وبذلك يكون قد أسس علما مستقلا يتخذ العلامات موضوعا سواء أكانت تلك العلامات لسانية أم غير لسانية وهذا العلم هو "**السيميوطيقا**"(**Sémiotique**).[4]

([1]) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة:يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1966،ص:27

([2]) فرديناند دي سوسير،محاضرات في الألسنية العامة، ص:87

([3]) المرجع نفسه،ص:27

([4]) ينظر: أحمد حساني، العلامة في التراث، مجلة تجليات الحداثة، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، 1993،ص:29

ولقد سعى السيميائيون الغربيون إلى تحديد الفرق بين مفهومين يبدوان مختلفين من الناحية اللفظية، وهما "السيميولوجيا"(Sémiologie) و"السيميوتيكا" (Sémiotique)، فهل هما بمعنى واحد على الرغم من اختلاف لفظيهما؟ وإذن فلماذا هذه الإزدواجية المصطلحاتية؟

1. إشكالية ازدواجية المصطلح:

قبل أن نتطرق إلى عرض آراء المنظرين السيميائيين حول هذه الإشكالية، يجب أن نلاحظ أنّ الإطلاقين يتحدان معا في القسم الأول منها ؛ حيث أن كلا منهما يبتدئ بـــ: "Sémio" وهو آت من اللغة الإغريقية (Semio)، فتكوينيا الكلمة آتية من الأصل اليوناني (SE) الذي نجده مستعملا في كلمات من مثل Sosiologie "علم الإجتماع، Thèologie و "علم الأديان"، و Biologie "علم الأحياء"...[1] ويعني "السمة" (signe)، ثم يفترقان في آن أحدهما ينتهي بمقطع (logie) الذي هو أصلا (lagos) وتعني "العلم"، [2] أو الخطاب، على حين أن أحدهما الآخر ينتهي بمقطع (tique) الذي يعني النسبة الديداكتيكية. إذن هل المصطلحان يعنيان شيئا واحدا، أو يعنيان شيئين مختلفين ؟

ألجـــــيرداس غريماس: (A. Grimas)

سُئل "غريماس" سنة أربع وسبعين من القرن الماضي عن سرّ التسمية المزدوجة، أجاب بأن مثل هذا هو من صميم الخصومات العقيمة، وذكر أنّه وقع الاتفاق سنة ثمان وستين وتسعمائة وألف بين "ياكبسون" و"شتراوس"، و"بنفنيست" و"بارت" على اصطناع مصطلح "السيميائية" (Sémiotique) ، بَيْد أن مصطلح (Sémiologie) بحكم تغلغله في الثقافة الأوروبية لم يكن من اليسر نسيانه وإذن إبعاده من الاستعمال.[3]

لكنّ "غريماس" يتراجع عن ذلك إجماع بعد ذلك، حيث نجده يميل إلى أنّ المصطلحين الإثنين كأنهما يعنيان شيئين مختلفين، فيرى أنّ المصطلح (Sémiotique)

([1]) برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، إفريقيا الشرق،(ط2)، بيروت، لبنان، 1994،ص:09

([2]) المرجع نفسه،ص:09

([3])Greimas , le monde, Paris du 7 juin 1974 en sémiotique ecole de paris,p :128

باستعماله في حال الجمع يعني البحوث المتعلقة بالحقول الخاصة مثل الأدب، والسينما، والإشارية وهلم جرا، على حين أنّ مصطلح (Sémiologie) "السيميولوجيا" يتمخض حينئذ للنظرية العامة بكل السيميائيات.[1] وبهذا الرأي يكون "غريماس" ربما قد وضع الحل لإشكالية ازدواجية المصطلح.

جولـــــيـــا كريستـفـــا (J .Kristeva):

تجعل "كريستيفا" المصطلحين الاثنين شيئا واحدا، و ذلك حين تفتتح مقالتها القائلــة:" تسعى السيميولوجيا أو السيميوتيكا (...) اليوم إلى أن تبنى على أساس أنّها علم المعاني.[2] ويستخلص "عبد المالك مرتاض" جملة من الملاحظات حول هذه الإشكالية:

1. السيميوتيكا تعالج خصوصيات الحقل بمثابة اللغة من اللسان أو الفرع من الأصل.

2. ترتبط السيميوتيكا أساسا بالثقافة الأنجلوأمريكية ("لوك" و"بيرس" خصوصا)، بينما يرتبط مفهوم السيميولوجيا بالثقافة الفرنسية ("غريماس" و"بارث")، على الرغم من أنّ "غريماس" عنون معجمه السيميائي بـ "السيميوتيكا".

3. إنّ مصطلح السيميوتيكا أقدم وجود وأعرق ميلادا من مصطلح السيميولوجيا الذي لم يتداوله "دي سوسير" إلا زهاء 1910.

4. إنّ مفهوم السيميولوجيا يرتبط أساسا بعلم اللغة، باللسانيات، بينما يرتبط مفهوم السيميوتيكا بالفلسفة والمنطق.

5. ابتدأت السيميائية بداية فلسفية، ثم لغوية خالصة، ثم تشعبت إلى أدبية مع احتفاظها بوضعها اللسانياتي.

أمّا في الساحة النقدية العربية الحديثة، فإن المصطلح قد شهد اضطرابات عند ترجمته، فانقسم النقاد إلى ثلاثة اتجاهات، ويؤكّد "صلاح فضل" ذلك فيقول:" النقاد والباحثون العرب فهم

([1]) ينظر: عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة السانيا سابقا، وهران، العدد الثاني،1993،ص:16

([2]) المرجع نفسه،ص:16.

يتوزعون على ثلاثة اتجاهات بعضهم يُؤْثر مصطلح السيميولوجيا، وله مبرراته في ذلك لمحاولة القرب من مصادر الفكر النقدي الحديث لصناعة مصطلحاته طبقا للتقاليد العربية القديمة... ومنهم من يعتمد على المصادر الأنجلوسكسونية، فيفضّل كلمة السيميوطيقا... أمّا الاتجاه الثالث فهو يبحث في التراث العربي ذاته على الكلمات المناظرة، والتي يمكن أن تؤدي بشكل تقريبي الدلالة اللغوية المطلوبة في العلم الحديث".[1]

وقد سجّلت الساحة النقدية العربية أكثر من عشرين مصطلحا عربيا مقابلا لمصطلح السيميائية، فشابت الدراسات العربية ضبابية مصطلحية، وفي هذا الصدد يقول "عبد المالك مرتاض":" فإنّ السيميائيين العرب حينما جاءوا إلى إدراج هذا المعنى ضمن ما يفيد معادلا دلاليا للمصطلح الأجنبي حاروا وماروا، والتبس الأمر عليهم، فإذا منهم من يصطنع السمة وإذا منهم من يصطنع "العلامة"، بل إنا ألفينا منهم من يستعمل الدليل وهذا الاستعمال الأخير مزعج إلى حد الإيذاء، ومحيّر إلى درجة الضلال ولعلّه أن يكون ضربا من ضروب العبث".[2] للعلم أنّ "عبد المالك مرتاض" يؤثر مصطلح السيميائية بإضافة "يـــا" النزعة (أو الياء الصناعية)، أمّا "صلاح فضل" فقد آثر مصطلح السيميولوجيا، واستطاع الباحث الجزائري "يوسف وغليسي" حصر التراكم المصطلحي للدلالة على مفهوم واحد هو (Sémiotique) .

([1]) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر،2002،ص:122

([2])عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية،ص:10

المقابل العربي	اسم المترجم	المرجع
سيميولوجيا	صلاح فضل	نظرية البنائية: 445 شطرات النص:06 مناهج النقد المعاصر:115
سيميولوجية	عبد الله الغدامي محمد عناني سعيد علوش عبد العزيز حمودة محمد نظيف محمد عزام	الخطيئة والتكفير:12 المصطلحات الأدبية الحديثة:153 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة:71 المرايا المحدبة:227 ترجمة كتاب "ما هي السيميولوجيا" لـ"برنار توسان" الأسلوبية منهجا نقديا:114
ساميولوجيا	محمود السعران	أورده الحمزاوي في المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية:262
سيمياء	انطوان أبي زيـــــد بسام بركة إميل يعقوب وآخرون لطيف زتوتي	ترجمة كتاب "السيمياء" لـ"بيار غيرو" 1984 معجم اللسانيات:186 قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية معجم المصطلحات نقد الرواية:209

علم السمياء	عبد الرحمن الحاج صالح وآخرون	المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات:129
السيمائية	خلدون الشمعة	المنهج والمصطلح:151
السيميائية	جوزيف.م شريم	دليل الدراسات الأسلوبية:161
السيميائيات	مبارك حنون	دروس في السيميائيات الدار البيضاء،1987
علم الرموز	علي القاسمي وآخرون فايز الداية	معجم المصطلحات علم اللغة الحديث:82 علم الدلالة العربي:08
علم العلامات	مجدي وهبة سمير حجازي عبد السلام المسدي عز الدين اسماعيل عدنان بن ذريل	معجم المصطلحات اللسانية:262 قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر:82 الأسلوبية والأسلوب:182 ترجمة "نظرية التلقي لروبرت هولب":372 اللغة والأسلوب:78،113
علم الإشارات	ميشال زكريا	الألسنية:291
الأعراضية	يوسف غازي، مجيد نصر	ترجمة "محاضرات في الألسنية العامة" لـ "دي سوسير".

مصطلح "Sémiotique":

المقابل العربي	اسم المترجم	المرجع
سيميائية	المسدي فاضل ثامر قاسم مقداد سعيد علوش رشيد بن مالك حسين خمري	قاموس اللسانيات:186 اللغة الثنائية:15،07 سيميائية النص الأدبي:39 معجم المصطلحات:69 قاموس مصطلحات التحليل السيميائي:417 نظرية النص في النقد المعاصر "أطروحة دكتوراه مخطوطة":96
سيمـــــائية	عبد المالك مرتاض	التحليل السيميائي للخطاب الشعري:08
سيميائيات	سعيد بنكراد فريد الزاهي محمد مفتاح	ترجمة كتاب "التأويل بين السيميائيات التفكيكية"لإيكو" ترجمة "علم النص" لـ "كريستيفا":71،70،20،19،15 تحليل الخطاب الشعري
سيميات	سعيد بنكراد	نقلا عن المصطلح النقدي للمسدي:109
علم السمياء	الحاج صالح وآخرون عادل فاخوري	المعجم الموحد:129 علم الدلالة عند العرب
علم الرموز	بسام بركة مبارك مبارك	معجم اللسانية:186 معجم المصطلحات الألسنية:262

علم الدلالة	محمد الناصر العجيمي سامي سويدان	في الخطاب السردي،ص:21 في دلالية القصص:11،15،17،68
علم الدلالات	محمد عزام	الأسلوبية منهجا نقديا:29
علم السيميولوجيا	صلاح فضل	بلاغة الخطاب وعلم النص:22
العلامية	المسدي	الأسلوبية والأسلوب
علم العلامات	مجدي وهبة	معجم مصطلحات الأدب:507
السيميوطيقا	محمد عناني محمد مفتاح نصر حامد أبو زيد جميل حمداوي	المصطلحات الأدبية الحديثة تحليل الخطاب الشعري:10 إشكالية القراءة وآليات التأويل: ،56، 66 ، 185عالم الفكر الكوبت،م25، ع3،يناير،مارس، 1997،ص:79
السيماطيقا	سمير حجازي	قاموس المصطلحات النقد الأدبي المعاصر:90
نظرية الإشارة	سمير كرم	ترجمة الموسوعة الفلسفية،ص:5،33
الإشارية	عبد المالك مرتاض	النص الأدبي من أيْن وإلى أيْن

تعـــريـــف السيـــميولـــوجيـــا:

1. عند الغرب:

يفضل الأوروبيون مفردة "السيميولوجيا" التزاما منهم بالتسمية السوسيرية، أمّا الأمريكيون فيفضلون "السيميوطيقا" التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "بيرس".

والسيميولوجيا يفسّرها "دي سوسير" حينما يقول:" اللّغة نظام من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة (...)، ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة

حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم العلامات".[1]

والظاهر من قول "دي سوسير" أنّه حصر دراسات العلامات في دلالاتها الاجتماعية، أمّا "بيرس" فيجعل السيميولوجيا تدرس العلامات العامة في إطارها المنطقي، فنجده يقول:"ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية نسبية ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات. والسيميولوجيا هي :"العلم الذي يدرس العلامات، وبهذا عرّفها كل من "تودوروف"، "غريماس" و"جولي كريستيفا" و"جون ديبوا"، و"جوزيف راف ديوف".[2]

ويعرّفها "بيير غيرو" فيقول:" هي العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات(...) وهذا التحديد، يجعل اللغة جزءا من السيمياء..."[3]

في حين ذهب "أمبرتو إيكو" إلى تمييزها بأنّها "علم يدرس سائر ظواهر الثقافة، بوصفها أنظمة للعلامات... وهي في جوهرها اتصال".*

وترى "جولي كريستيفا" أنّ دور السيميائيات هو بناء نظرية عامة عن أنظمة الابلاغ.[4]

ويعرّفها "لويس بريتو" فيقول:" علم يبحث في أنظمة العلامات سواء كان مصدرها لغويا أم سنتيا أم مؤشريا".[5]

أمّا حدّها عند "غريماس" فهي "علم جديد مستقل تماما عن الأسلاف البعيدين وهو العلوم الأمهات ذات الجذور الحضارية في القدم، فهي علم جديد وهي مرتبطة أساس بـ"سوسير" وكذلك "بيرس".[6]

([1]) فدريناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص:27

([2]) ينظر: عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر،دار فرقه للنشر والتوزيع،المينا،مصر،2003،ص:18

([3]) المرجع نفسه،ص:65

* سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا أنظمة العلامات في اللغة والأدب والفكر،، دار إلياس العصرية، مصر،(ط1)،1987،ص:09

([4]) ينظر: فيصل الأحمر، السيميائية الشعرية،ص:12

([5]) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات،ص:13

([6])،فيصل الأحمر، معجم السيميائيات،ص:17

جملة القول إنّ السيميولوجيا عند الغرب هي العلم الذي يدرس العلامات، أو هي نظرية عامة للتمثيل العلامي في أجلّ صورة وتجلياتها.

2. عند العرب المحدثين:

يعرّف "صلاح فضل" السيميائية فيقول:" هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة".[1]

إنّ "صلاح فضل" يشترط أن تكون الإشارات المدروسة ذات دلالة، لأنّ السيميائيات تدرس دلالة هذه الإشارات، أمّا سعيد علواش" فيرى أنّ "السيميولوجيا هي "دراسة لكل مظاهر الثقافة كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع".[2]

أمّا عند الباحث المغربي "سعيد بن كراد" فهي:" ليست سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكاته أي معانيه، وهي أيضا الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني".[3]

مجمل القول إنّ معظم التعريفات تكاد تُجمع على أنّ السيميولوجيا/السيميوطيقا هي علم يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية، كما أنّ فوضى الترجمة عند العرب أدّت إلى اختلاف نطق المصطلح وإلى اختلاف كتابته باللغة العربية، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم احترام شروط نقل المصطلح أو ترجمته من بيئة الأصل إلى بيئة الهدف، وهي شروط وضعها المعجميون لتسْلم ترجمة المصطلح من الخطأ، ومعظم الترجمات التي استحسنها القارئ العربي وفضلها هي مصطلح "السيمياء" أو "السيميائية" لانسجامه اللفظي والصوتي مع المصطلح الأجنبي من جهة ولعلاقته الدلالية بما ورد في تراثنا اللغوي العربي من جهة أخرى.

([1]) عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر،ص:20

([2]) المرجع نفسه،ص:20

([3]) المرجع نفسه،ص:21